

أضواء جديدة على مصادر تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

أد/خالدية مضوي*

الملخص:

كثيرة هي المصادر التاريخية القديمة الإغريقية واللاتينية التي أولت اهتمامها بتاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، غير أن مؤلف الملك الموريطاني يوبا الثاني "23 - 40 ق.م الضائع الموسوم بـ "أربیکا" يعتبر من بين أهم المصادر هذه الحقبة وذلك بشهادة عالم الطبيعيات والمؤرخ اللاتيني كايوس سيكوندوس بلينيوس "Causis Secundus Plinius" الذي عاش خلال القرن الأول ميلادي، زيادة على أنه يعد أول مصدر كلاسيكي شمولي مدون باللغة الإغريقية من طرف مؤرخ ينحدر من أصول ليبية. ولهذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى إلقاء المزيد من الأضواء على جوانب تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام من خلال هذا المؤلف، وذلك بحسب ما توفر لدينا من معلومات وردت عند لاحقيه من الكتاب القدامى.

Abstract:

This paper can be considered a new approach to be added to the list of modern historic studies which deal with the Arabic Peninsula antiquity; so it sheds the light as the contributions of the king Juba II in his book: History of the region through the "ARABICA" which was not given Importance by specific studies and dropped his name from classic sources which relate pre Islamic facts and events and Importance of information which were facts and events described by Plinius the Elder told about in his book natural history and since the first century A D , so he began on Arabic Lands in his sixth book by saying: " J will not forget nor ignore my preceding speech which J wrote in my third book and in which J stated that the most truthful writing are written by historians of the region except that on the matter of the history of Arabic Lands J would like in stating its news to follow what came in the books of historians of roman invasions and the book " Arabica" by

*. أستاذة باحثة في التاريخ القديم بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، الجزائر.

Juba II which he donated to Caius Caesar commander of roman invasion an Arabic land” .

This study will try to deal with a number of problematic of related subject we will examine motivations with their three dimensions: scientific , political and military which led this king to give interest to the Arabic Peninsula history and its investigating its sources and its influence on roman authorities and his contemporaries and successors from historians .

-مقدمة:

تعد هذه الدراسة لبنة جديدة تضاف إلى قائمة الدراسات التاريخية المعاصرة التي أولت عنايتها لتاريخ الجزيرة العربية في العصور القديمة، بحيث سنحاول من خلالها تسليط الضوء على إسهامات الملك والعالم الموريطاني يوبا الثاني "IUBA II" في كتابة تاريخ المنطقة من خلال مؤلفه أرابيكا "Arabica"، الذي لم تعره الدراسات العربية المختصة اهتماما وأسقطت اسمه من سجل المصادر الكلاسيكية الإغريقية المؤرخة لوقائع وأحداث شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام¹، وذلك على الرغم من أهمية ومصداقية المعلومات الواردة فيه، وهي حقائق أدرك المؤرخ كايوس سكندوس بلينيوس "Caius Secundus Plinius" المعروف ببلينيوس القديم أهميتها ونوها بها في مؤلفه "التاريخ الطبيعي"، وذلك منذ القرن الأول ميلادي²، بحيث استهل في معرض حديثه عن بلاد العرب في الفقرة الأولى من الفصل الواحد والثلاثين من كتابه السادس قوله³ "لم أنس أو أتجاهل حديثي السابق الذي ذكرته في الكتاب الثالث، والذي أشرت فيه أن أكثر الكتابات مصداقية ودقة تلك التي كتبت من مؤرخي المنطقة، غير أنه وفيما يتعلق بتاريخ بلاد العرب، أحب أن أتبع في سرد لأخبارها ما ورد منها في كتب مؤرخي الحملات الرومانية، وكتاب أرابيكا للملك يوبا الثاني الذي أهداه إلى كايوس قيصر "Caius Caesar"⁴ قائد الحملة الرومانية على البلاد العربية".

1. التعريف بصاحب الكتاب:

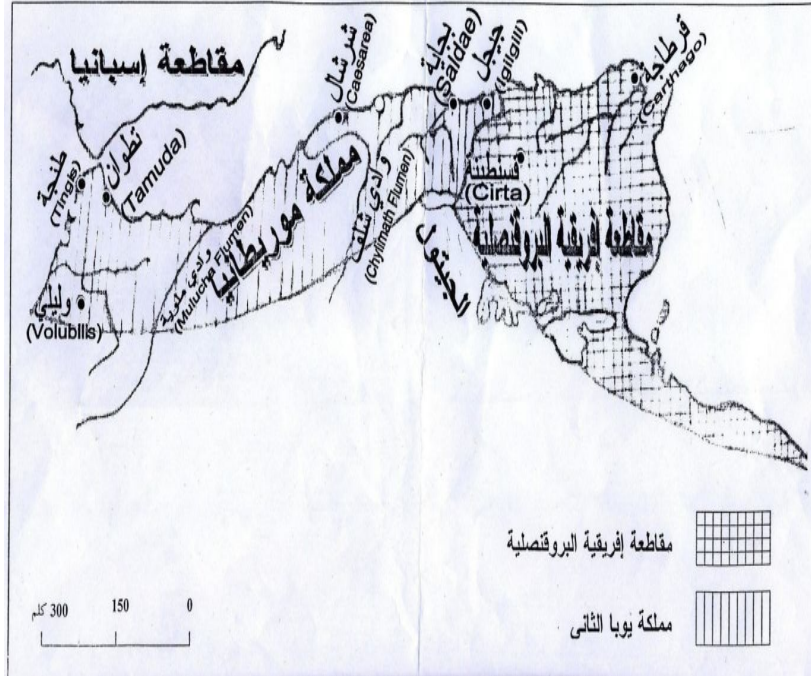
لم تشر المصادر الأدبية إلى تاريخ ميلاده وإنما اكتفت بذكر حادثة أسرته ونقله إلى روما بعد هزيمة والده الملك يوبا الأول "Iuba I" في معركة رأس ديماس

(Thapsus) سنة 46 ق.م.⁵، ولهذا رجح بعض المؤرخين المعاصرين مولده ما بين سنة 51 أو 50 ق.م. في زاما (Zama) عاصمة مملكة نوميديا الشرقية⁶.

حظي الطفل يوبا برعاية أوكتافيا "Octavia" شقيقة الإمبراطور أغسطس وأرملة القائد الروماني ماركوس أنطونيوس "Marcus Antonius"، إذ أنشأته على طريقة شباب الأرسقراطية الرومانية، بحيث تعلم اللغتين الإغريقية واللاتينية وتشبع بثقافتهم، كما نال رعاية وعطف الإمبراطور أكتافيوس "Octavius"، إذ منحه حق المواطنة الرومانية وأصبح يعرف باسم كايوس يوليوس Caius Iulius واصطحبه في بعض حروبه ضد ماركوس أنطونيوس "Marcus Antonius" في مصر 31 ق.م وإسبانيا 26-25 ق.م.⁷

توج يوبا الثاني "Iuba II" ملكا على عرش مملكة موريطانيا سنة 25 ق.م من طرف الإمبراطور أغسطس، هذه المملكة التي امتدت حدودها من المحيط الأطلسي غربا إلى الوادي الكبير (Ampsaga Flumen) شرقا⁸، بالإضافة إلى قسم من جيتوليا الممتد تقريبا من زراية (Zarai) إلى توده (Thabudeos) الواقعة جنوب نوميديا⁹ (المغرب الأقصى وأجزاء من الجزائر) (أنظر خريطة مملكة موريطانيا).

تزوج هذا الملك سنة 20 أو 19 ق.م برغبة مربيته أوكتافيا "Octavia" من كليوباترة القمر "Cléopâtre Séléne" ابنة كليوباترة السابعة "Cléopâtre VII" وماركوس أنطونيوس التي أسرت ونقلت إلى روما بعد انهزام والدها أمام الإمبراطور أغسطس في معركة أكتيوم (Actium) سنة 31 ق.م.¹⁰



نقلا وبتصرف عن: Benabou(M), Juba II ou l'africanité vassal de Rome , pp148

2- مملكة موريطانيا في عهد الملك يوبا الثاني:

رزق يوبا الثاني "Iuba II" من هذا الزواج بابن اسمه بطليموس "Ptolemaeus" وربما بنت اسمها دريسيله "Dryasila" وهي التي قال عنها المؤرخ اللاتيني تاكيتوس "Tacitus" أنها حفيدة ماركوس أونطونيوس¹¹، وبعد وفاة الملكة كليوباترة « Cléopâtre » سنة 6 أو 5 ق.م، تزوج يوبا بغلافيرا "Glaphyra" ابنة أرشليوس « Archelaus » ملك كابادوسيا وأرملة ألكسندر ابن هيرود الأكبر¹²، هذا الزواج الذي تزامن مع رحلته إلى الشرق التي رافق فيها القائد الروماني كايوس قيصر " Caius Caesar " ¹³.

عرفت مملكة موريطانيا في عهده تطورا اقتصاديا وعمرانيا معتبرا، إذ بمجرد تعيينه ملكا اتخذ من شرشال (IOL) المحطة الفينيقية وعاصمة الملك الموريطاني بوخوس الثاني " Bocchus " عاصمة لمملكته الواسعة وأطلق عليها اسم القيصرية (Caesarea) لقب ولي نعمته أوكتافيوس أغسطس، ولم يكتف

بتغيير اسمها فحسب، وإنما حولها إلى مدينة رومانية وذلك بتوسيعها وتزيينها بالمباني الجميلة ليجعل منها نموذجا للعمران الروماني، حيث أقام بها ساحة عمومية ومعبد خصصه لعبادة هذا الإمبراطور، كما بنى بها مسرحا وسط المدينة يعد من أقدم المسارح التي أنجزت ببلاد المغرب القديم بعد مسرح مدينة برج بوشاطور (Utica)، وزودها بأسطول كان له الدور الكبير في تطوير الاقتصاد خاصة ترويج التجارة والقيام بالحملات الاستكشافية العلمية زيادة على حراسة الشواطئ¹⁴.

تميزت سياسته الخارجية بربطه علاقات عسكرية ببروقناصلة مقاطعة إفريقية البروقنصلية كما ربطته علاقة متميزة بالأرستقراطية الرومانية وخاصة الإمبراطور أوكتافىوس أغسطس وابنه الإمبراطور تيبريوس «Tiberius»، كما وطد علاقاته التجارية بدول البحر الأبيض المتوسط خاصة إيطاليا، غاليا وإسبانيا¹⁵.

وعلى الرغم من المسؤوليات الجسام التي كنت ملقاة على عاتقه فيما يخص أمور السياسة والحكم، إلا أن ذلك لم يثنه عن التأليف في حقول معرفية متعددة، بحيث كان يوبا الثاني «Iuba II» شغوبا بطلب العلم والمعرفة، إذ وصفه بلوتاركىوس "Plutarquiu" بأنه أكبر المؤرخين بين الملوك وأعلم علماء الإغريق¹⁶، ولعل مما ساعده على ذلك معرفته للغات متعددة كاليونية التي تعلمها في صباه بزاما (Zama) بالإضافة إلى اللاتينية والإغريقية اللتان كان يؤلف بهما كتبه. كما اهتم إلى جانب جمعه المعلومات من مؤلفات سابقيه من الإغريق والرومان بالبحث في عدة مواضيع، كالتعرف على منبع نهر النيل وذلك بإرساله بعثة استكشافية إليه، كما حاول التعرف على أرخبيل جزر الكناري¹⁷ وألف كتبا عديدة في علوم مختلفة، إذ أنجز دراسة حول نبات أوفوربوس "Euphorbus" نسبة إلى طبيبه الذي اكتشفه في جبال الأطلس، وقد وصفه بأنه يحسن الرؤية ويقاوم ضرر لدغة الأفاعي باختلاف أنواعها¹⁸، ومن أشهر مؤلفاته التي احتفظت بها المصادر كتابه لبيكا

"Libyca"، أسيركا "Assyrica" وأرابيكا "Arabica" والتاريخ الروماني بالإضافة إلى مؤلفات أخرى حول الرسم والمسرح وأخطاء اللغة¹⁹.

ذاع صيته ووصف أنه أعظم علماء عصره، فأقام له سكان مدينة أثينا تمثالا بالقرب من إحدى المكتبات، وأفادت كتاباته العديد من العلماء كبلينوس القديم "Plinius" الذي ذكره في كتابه التاريخ الطبيعي 37 مرة، كما اعتمد الطبيب غالينوس "Galianus" الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني ميلادي على دراسته حول نبات أوفوربوس "Euphorbus"، وكل من أثيني "Athenee" وبولكس "Pollux" وتاتيانوس "Tatianus" في نهاية القرن الثاني، وسولينوس "Solinus" وأميانوس ماركلينوس "Ammianus Marcellinus" في القرنين الثالث والرابع ميلادي وأليانوس البيزنطي «Alianus» في القرن الخامس²⁰.

توفي يوبا الثاني سنة 23 ق.م²¹، وفي هذا الصدد يفيدنا المؤرخ الفرنسي مارسال بن عبو «M.Benabou» بمعلومات نقلها عن كاتبين مسيحيين هما لاكتانس «Lactance» ومنيكيوس فيلكس «Minicius Félix» تشير إلى تأليه بعد وفاته من طرف رعاياه الموريين²²، كما كشفت الحفريات التي أجريت بمدينة سلا (Sala) المغربية عن تمثالين أحدهما لهذا الملك والآخر لابنه بطليموس «Ptolemaeus»، عثر عليهما داخل معبد صغير للقرن الرابع ميلادي²³.

3. التعريف بالمؤلف:

لم يصل إلينا كتاب الملك يوبا الثاني المحرر باللغة الإغريقية والذي عرف من خلال عنوانه المترجم إلى اللاتينية أرابيكا "Arabica" بطريقة مباشرة، وإنما من خلال ثلاثة كتاب كلاسكيين لاحقين²⁴، من أهمهم المؤرخ اللاتيني بلينيوس القديم، بحيث يخبرنا هذا الأخير في ثلاثة مواضع من مؤلفه "التاريخ الطبيعي" Historia Naturalis في الفقرة الرابعة عشرة من الفصل الواحد والثلاثين من الكتاب السادس، في الفقرة الثانية من الفصل الواحد

والثلاثين من الكتاب الثاني عشر، وفي الفقرة الأولى من الفصل الرابع من الكتاب الثالث والثلاثون، أن الملك يوبا الثاني ألف كتابا ضخما حول البلاد العرب أسماه أرابيكا، أهدها إلى كايوس قيصر "Cauis Caesar" الابن المتبنى للإمبراطور الروماني أغسطس²⁵، غير أن معلوماتنا حول عدد كتبه ومحتواها يبقى محدودا ولا يمكننا التعرف عليها إلا على ضوء الإشارات التي زدنا بها بلينيوس، الذي كان قد استشهد ببعض منها في كتابه، بحيث أطلعنا على اثنان وعشرون جزءا من أجزائه نوضحها من خلال هذا الجدول.

الأجزاء	المصدر
التاسع والثلاثون، الواحد والأربعين، الثاني والأربعين، الرابع والأربعين	Plinius, VI, 32, 1-9.
السادس والأربعين	Ibid, XXXII, 10.
السابع والأربعين والثامن والأربعين	Plinius, VI, 177, 179; VIII, 35; XXXI, 18; XXXVI.
التاسع والأربعين	Plinius, VIII, 30, 3.
الخمسين	Ibid, XII, 30, 1-15.
الواحد والخمسين	Ibid, XII,30,1
الثالث والخمسين	Ibid, XIII, 7, 5.
الخامس والخمسين	Ibid,X XV,8,1.
السادس والخمسين	Ibid, XIII, 142
السابع والخمسين	Plinius, XXV, 17, 1.
الثامن والخمسين	Ibid, XII, 22, 1.
التاسع والخمسين	Ibid, XXXIII,
الستين	Ibid, XXXV, 39
الواحد والستين	Ibid, XXXVIII, 9, 1.
الثاني والستين، الثالث والستين، الرابع والستين، الخامس والستين	Ibid, XXXVIII, 24, 69, 73,108,

أما عن تاريخ تأليفه، فيمكننا أن نستنتج بحسب ما يفيدنا به بلينيوس دائما²⁶، أنه قد أنجز في وقت سابق من سنة 1 ق.م وهو تاريخ انطلاق الحملة الرومانية²⁷.

والظاهر أن كتاب أرابيكا كان ذائع الصيت ولقي انتشارا ورواجا في أرجاء الإمبراطورية وبخاصة في العاصمة روما، بحيث تمكن مؤرخنا بلينيوس- وهو الذي عاش في فترة لاحقة بعد وفاة يوبا الثاني- من الإطلاع عليه، وهو ما يفهم من مضامين العديد الفقرات الواردة في كتابه السادس كقوله مثلا " أحب أن أتبع كتاب يوبا"²⁸، كما قرأه واعتمد عليه المؤرخ سولينيوس الذي عاش خلال القرن الثالث ميلادي والمؤرخ البيزنطي أليانوس الذي عاش خلال القرن الخامس ميلادي²⁹.

يتضح لنا من النصوص التي اقتبسها بلينيوس عن مؤلف " أرابيكا "، أن هذا الكتاب ذو طابع جغرافي، عنى بكافة الأمور المتعلقة ببلاد العرب فيما يخص مساحتها وما فيها من المدن والمواقع والرؤوس والخلجان، إلا أن ذلك لم يمنعه من التطرق إلى مجالات أخرى كالسلالات البشرية وذلك من خلال استعراض أسماء بعض الشعوب والقبائل وعاداتها وتقاليدها، ومواردها الاقتصادية وأنشطتها التجارية.

4. مصادره:

لقد تيسر للملك يوبا الثاني الحصول على معلومات حول الجزيرة العربية لم تيسر لغيره وذلك نظرا لعدة عوامل نذكر منها:

1. معاصرته لأحداث الحملة الرومانية على اليمن في سنة 24 ق.م التي قادها إيلوس جالوس "Aelius Gallus" بروقنصل مقاطعة مصر، واستفادته من معلومات معاصره الجغرافي سترابون "Strabo" الذي قام بتسجيل وقائعها لاسيما من النواحي السياسية والتجارية بحيث استفاد من الوصف الدقيق للطرق التي سلكتها الحملة ونتائجها والأخطار التي وقعت فيها وكذلك وصفه للمدائن والقبائل العربية³⁰.

2. استعانته في تحرير كتابه على مصادر سابقة وبخاصة على خطة لإسكندر المقدوني في غزوه لشبه الجزيرة العربية التي ذكرها بيلوت أونسكريت (Pilote Onésicrite) والأميرال نيارك (Néarque)³¹، والتي وصلتنا أخبارها عن طريق كاتبين كلاسيكيين لاحقين هما أريانوس "Arrianus" وسترابون "Strabo"³².

3. إن قسما كبيرا من معلوماته، خاصة تلك المتعلقة بالطيوب الآتية من جنوب الجزيرة العربية، كان يستند فيها يوبا على ملاحظاته الشخصية للمجتمع الروماني الذي كان مؤرخنا أحد أبنائه، بحيث استقر في روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية لفترة طويلة استمرت مدة 21 سنة (46-25 ق.م)، حصل خلالها هذا الملك على حقوق المواطنة الرومانية، وقد رأى بأمر عينيه أن هذا المجتمع كان يستهلك قدرا معتبرا منها، وكان بالضرورة على علم بمصدر هذه السلع وتجارها خاصة وأنه كان من أفراد الأسرة الإمبراطورية المقيمين في قصر الإمبراطوري.³³

4. إن المؤرخين المعاصرين لا يستبعدون زيارته للجزيرة العربية وذلك إما برفقة كايوس قيصر "Caius Caesar" أثناء حملته التوسعية على الجزيرة العربية (1 ق.م . 4م)، أو إلى الشرق بمناسبة عقد قرانه على قلافيرا "Glaphyra" ابنة أرشليوش "Archélaius" ملك كابدوسيا "Capaddocia"³⁴.

5. ظروف تأليف الكتاب:

من الواضح أن أهم الدوافع التي جعلت الملك الموريطاني يحتفي بتاريخ الجزيرة العربية هو رغبته في إهداء هذا الكتاب إلى ولي نعمته الإمبراطور أغسطس الذي كفله ورعاه وتوجه ملكا، حتى يستعين به قائد حملته على الجزيرة العربية كايوس قيصر في احتلالها، وحتى تتدارك من خلاله السلطات الرومانية الإخفاقات التي منيت بها في حملة إيليوس جالوس، غير أن ذلك لا يمنع من وجود أسباب أخرى وإن لم تكن بنفس الأهمية ودرجة، والتي نلخصها في يأتي:

1. يعد اهتمام يوبا بشؤون شبه الجزيرة العربية جزءا من اهتمام الكتاب الكلاسيكيين بالمنطقة في العهد الإمبراطوري الأعلى وكان استمرار هذا الاهتمام وتزايدده يشكل انعكاسا واقعيا لاهتمام روما بالاحتلال الجزيرة العربية لسببين رئيسيين هما:

أ. لأسباب أمنية عسكرية تمثلت في حماية الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية على مشارف الجزيرة العربية، تأمين الخط الملاحي البحري من الشرق بعد أن أصبح مهددا من قبل الفرس في إيران³⁵.

ب. لأسباب اقتصادية، بحيث اتبع أباطرة روما مع احتلال مصر وتحويلها إلى مقاطعة رومانية سنة 30 ق.م سياسة كان هدفها السيطرة على التجارة وبخاصة تجارة الطيوب والتوابل التي بدأت تلعب دورا مهما في العلاقات التجارية مع الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور أغسطس (27 ق.م. 14 م)³⁶ وقد لخصها سترابون بقوله "ما يزيد من ثروة سكان المنطقة أن أهلها كانوا يبيعون منتجاتهم ولا يشترون شيئا في مقابل ذلك، كذلك إذا ضمت هذه المنطقة إلى الإمبراطورية الرومانية فستؤدي بموقعها على الساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى جانب مصر على الساحل الغربي إلى سيطرة روما الكاملة على الطريق التجاري البحري في البحر الأحمر، وقد كان هذا إذا تم خليقا بأن يوفر على الإمبراطورية الرومانية وعلى الرعايا الرومان التكاليف الباهظة والرحلات الشاقة بالقوافل التجارية الضخمة، كذلك كان خليقا بأن يؤدي إلى تخفيض ثمن سلع المنتجات العربية وعلى تحويل طريق التجارة إلى الهند بطريقة مباشرة³⁷.

2 - مواكبة الملك يوبا الثاني "Iuba II" لمعاصريه من المؤرخين والجغرافيين والرحالة الذين اهتموا بتقديم المعلومات عن شبه الجزيرة العربية على أساس استقصاء علمي، بحيث تكون هذه الكتابات مرجعا لمن يريد التعرف على المنطقة لسبب أو لآخر سواء من السياسيين أو من غيرهم ، ولعل ما يدعم هذا الرأي تدوينه لمجموعة من الكتب تناولت مناطق جغرافية مختلفة كبلاد آشور ولوبا.

6 - أهمية كتاب أرابيكا بالنسبة للسلطات الرومانية:

كان كتاب أرابيكا الدليل الذي استعملته السلطات الرومانية في الحملة الموجهة للاحتلال شبه الجزيرة العربية، هذه الحملة التي أرسلها الإمبراطور أغسطس عن طريق البحر تحت قيادة ابنه المتبنى كايوس قيصر سنة 1 ق.م. والظاهر أن هذه الحملة لم تستغرق وقتاً أو جهداً كبيراً بحيث يذكر لنا بلينيوس القديم³⁸ أن القائد لم يفعل أكثر من إلقاء نظرة سريعة على البلاد العربية، لكن يبدو مع ذلك أن الحملة قد حققت الهدف الاقتصادي والسياسي بالنسبة لروما، وهناك أكثر من دليل يشير إلى هذه النتيجة، بحيث يذكر لنا مؤلف يوناني مجهول في كتابه "الطواف حول البحر الأريتري"³⁹ في جملة قصيرة مفادها "أن القيصر استولى على ميناء عدن في زمن غير بعيد عن زمانه ودمره"⁴⁰، دون أن يحدد اسم هذا القيصر⁴¹ وسواء أكانت تسمية "قيصر" تعني كايوس قيصر قائد الحملة البحرية أو تشير إلى الإمبراطور أغسطس الذي كان يشار إليه عادة باسم القيصر فالنتيجة واحدة، كذلك يذكر لنا بلينيوس القديم⁴² أن كايوس قيصر قد حصل على شهرة واسعة من وراء هذه الحملة، وهو حديث يدل على أن روما حققت هدفاً ملموساً حتى ولو أخذنا هذا الإخضاع بأقل معانيه وهو حصول روما على امتيازات في هذا الميناء.

أما الشاهد الأخير فهو شاهد أثري مؤداه أن حوالي نصف العملة الرومانية التي وجدت بالهند ترجع إلى عهد كل من الإمبراطورين أغسطس وابنه تيبيريوس⁴³، ومعنى هذا أن التجارة الرومانية مع الهند قد نشطت نشاطاً كبيراً في هذه الفترة، وغني عن البيان أن نقطة الوسط في طريق التجارة بين روما والهند تشغلها السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، الأمر الذي يدل على أن روما إن لم تكن قد وضعت المنطقة تحت نفوذها، تكون قد حصلت على تسهيلات تجارية كبيرة عبر موانئها⁴⁴.

7 - محتوى الكتاب:

لقد تضمن كتاب يوبا الثاني "Tuba II" الكثير من المعلومات القيمة التي تطرق فيها إلى مواضيع متعددة هي:

أ. الجغرافيا:

لم يقصر يوبا تسمية بلاد العرب على شبه الجزيرة العربية ولكنه أدرج مثل سابقيه من المؤرخين من أمثال (Herodotus) وغيرهم، القسم الداخلي من سوريا وشبه جزيرة سيناء وصحراء مصر الشرقية التي تقع بين النيل والسواحل الغربية للبحر الأحمر ضمن نطاق هذه التسمية، ووصف لنا المدن الواقعة على الساحل الممتد من المحيط الهندي إلى الخليج العربي وتلك الواقعة غرب البحر الأحمر، إذ تحدث عن كافة الأمور المتعلقة بشبه الجزيرة العربية فيما يخص مساحتها وثرواتها وما فيها من المدن والرؤوس والخلجان والموانئ والجبال، وهي المعلومات التي ورد ذكرها عند بلينيوس القديم في الفقرات التسعة عشر من الفصل الثاني والثلاثين من الكتاب السادس⁴⁶ وبحسب هذا الأخير دائماً، فإن يوبا الثاني قد تفرد بمعلومة مفادها "أن التجارة البحرية ابتداء من وادي الكلب كانت مستحيلة بسبب وعورة المنطقة"⁴⁷ كما أنه لم يخف تعجبه من إغفاله ذكر بعض المدن الزاهرة في المنطقة - إن لم يكن خطأً الناسخين. كمدينة عمان (Omana)⁴⁸، وبعض الموانئ المتمركزة على الجانب الشرقي لشبه الجزيرة العربية كأطانة (Attana) وهمنة (Omna)⁴⁹ وتلك الواقعة على المضيق الذي يفصل البلاد العربية عن البلاد الإفريقية وهي مدن (Bérenice)، (Epidires)، وهو الذي صحح و صوب معلومات سابقيه من المؤرخين⁵⁰.

ب. العادات والتقاليد والنشاط التجاري:

بالرغم من طبيعة الكتاب الجغرافية إلا أن معلوماته لم تخلو من الحديث عن بعض عادات الشعوب وتقاليدها وبعض أوج نشاطهم التجاري، بحيث ذكر أن العرب كانوا يستخدمون زيوت الأسماك مراهم لجمالهم لوقايتهم من الذباب، كما تحدث عن متاجرتهم بزيوت الأفاعي⁵¹.

ج . منتجات شبه الجزيرة العربية:

لقد أشار يوبا لبعض منتجات شبه الجزيرة العربية كاللادن (Iadanon) الذي تشتهر به المنطقة وهو على نوعين أحدهما طبيعي والآخر اصطناعي⁵²، والمر (Smyrna) الذي ينمو بالقرب من مناطق زراعة أشجار البخور، وهو ينتشر في كثير من مناطق شبه الجزيرة العربية عند المعينين (Minaioi) والسبأين (Sabaioi)⁵³ وغيرهم، وهو يزرع مرتين في السنة⁵⁴، كما ذكر أن الصمغ يستخرج من نبات شوكي ينمو في شبه الجزيرة العربية وفي الهند ويعرف باسم (Lama)⁵⁵، وفي حديثه عن الأشجار المثمرة تطرق إلى النخيل التي ذكر أن أجود أنواع تمورها هي تلك الموجودة في إقليم سكان الخيام (Skenitae) وهي تسمى (Dablan)⁵⁶.

د . عالم الحيوان:

تطرق يوبا في مؤلفه إلى بعض الحيوانات التي كانت تعيش في الجزيرة العربية، بحيث ذكر أن أفاعي المنطقة شبيهة بأفاعي الهند، يبلغ طولها 20 ذراعا، وهي محدبة كتلك الموجودة في منطقة الصومال (Trogloditika)⁵⁷، وأن الجمال العربية ذات حدبة واحدة⁵⁸، كما أنه يحيلنا على نوع غريب من الحيوانات، لديه ثلاث فكوك وله وجه إنسان وجسم أسد، وهو يحب أكل اللحوم البشرية⁵⁹، كما يشير إلى الخيول وتعلق أصحابها بها⁶⁰، وفي حديثه عن الأسماك أشار إلى المحار الذي يبلغ وزنه داخل الصدفة الواحدة 0.87 كغ، وأن الحلزونيات من أشد خصومها، وهي تتميز في شبه الجزيرة العربية بألوانها المختلفة الزرقاء الصهباء والأرجوانية⁶¹، ولم تفوته الإشارة إلى انعدام الخنازير البرية والأليفة في شبه الجزيرة العربية⁶².

هـ . عالم النبات:

يقدم يوبا في هذا القسم وصفا دقيقا للأشجار العطرية بشبه الجزيرة العربية لا نجده عند من سبقه من الكتاب سواء منهم المؤرخون أو الجغرافيون أو علماء التاريخ الطبيعي، وقد أشاد بلينيوس القديم بذلك قائلا " ...على الرغم الحملات الرومانية المتكررة على شبه الجزيرة العربية

وورود أخبارها إلينا من خلال المؤرخين، إلا أننا نفتقد لمواصفات شجرة البخور، ولا يوجد مؤرخ لاتيني أو إغريقي تمكن بحسب علمنا من إعطائنا وصفا لها باستثناء يوبا الثاني الذي ذكر أن شجرة البخور جذعها ملتو وأن أغصانها شبيهة بنبات القيقب⁶³، وأن شجرة المر تتميز بجذعها الخشن والملتوي وهي أكبر حجما من شجرة البخور، وأن أوراقها شبيهة بأوراق الزيتون، وأن القطن من الأشجار التي تشتهر بها شبه الجزيرة العربية، وهي ذات أوراق شبيهة بأوراق النخيل، وهي أفضل من تلك التي تشتهر بها الهند⁶⁴، وأن الحبة السوداء من الأعشاب المقاومة للموت⁶⁵، وأن طول أشجارها يصل إلى 50 ذراعا في الجزيرة العربية⁶⁶.

نستخلص مما تقدم ذكره، أنه على الرغم من أهمية المعلومات التي زدنا بها يوبا الثاني إلا أننا نلاحظ في بعض معلوماته ذلك الجنوح إلى الخيال أو عدم تحري الدقة العلمية في أحيان أخرى، ويظهر ذلك جليا من خلال حديثه عن أفاعي أثيوبيا التي كانت تتكفل في مجموعات لتجتاز البحر الأحمر باتجاه بلاد العرب بحثا عن غذائها⁶⁷، غير أن ذلك لا يمنع من وجود الكثير من الحقائق التي ثبتت صحتها ونوها واستفاد منها لاحقوه من الكتاب القدامى اللاتين والإغريق وفي مقدمتهم بلينيوس القديم "Plinius" الذي أشاد بكتابات واستشهاد بأرائه ووظفها 37 مرة في كتابه التاريخ الطبيعي.

-الهوامش:

- 1 - نذكر من بين هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر:
 - جواد على، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، بيروت دار العلم للملايين، بغداد، دار النهضة، 1976، 1978، محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، الطبعة الثانية، الرياض، المكتبة التاريخية للجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1980، حلبي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته (بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة)، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1998، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2002، لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثالثة، مصر، دار المعرفة الجامعية، 2003، أحمد أمين سليم، جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، مصر، دار المعرفة الجامعية، 2005.

2 - بلينيوس القديم (23 - 79 م): وهو جايوس بلينيوس سيكوندوس ومن كتبه الهامة كتابه "التاريخ الطبيعي" الذي قسمه إلى سبعة وثلاثين قسما، ولقد تناول شبه الجزيرة العربية في قسمين من هذا المؤلف، ولقد تحدث فيهما عن بلاد العرب وثرواتها وجغرافيتها ومدنها وسكانها وبعض الأحداث التاريخية التي مرت بها، وطرق التجارة في شبه الجزيرة العربية والمسافات بين بعض المراكز التجارية، ويتحدث كذلك عن المنتجات الطبيعية لشبه الجزيرة العربية ومناطق تواجدها ومواسم محاصيلها وطريقة استخراجها وجمعها، كما يتحدث عن أثمارها .

3 - Plinius, VI, 31, 1, " Non me praeterit , nec sum oblitus , sui quemque situs diligentissimum auctorem vosum nobis in introituhujusoperis.In hac tamen parte arma romana sequi placet nobis, Jubamque regem , ad eumdem Causi Caesarem voluminibus de eadem expeditione Arabica", Histoire naturelle de Pline, avec la traduction en français par Littré(M.E).Paris, Dubochet (J .J), Le Chevalier Comp, éditeurs, 1848.

4 - كايوس قيصر: هو حفيد الإمبراطور أغسطس وابن القائد الروماني ماركوس أغريبا وجوليا البنات البكر للإمبراطور، تبناه هذا الأخير في سنة 17 ق.م وحصل في سنة 12 ق.م على لقب قيصر، أرسله والده في سنة 1 ق.م إلى الشرق بحيث تمكن من تحقيق بعض الانتصارات في أرمينيا وشبه الجزيرة العربية، توفي سنة 4 م .

5 - لا تشير المصادر إلى ظروف توليه الحكم، وإذا كان المؤرخان الكلاسيكيان ديون كاسيوس وبلوتاركوس قد أشارا إليه أول مرة كملك منذ سنة 50 ق.م، فإن بعض المؤرخين المعاصرين يفترضون أن بداية حكمه كانت في سنة 60 ق.م، حكم خلالها مملكة نوميديا الشرقية التي امتدت حدودها من مقاطعة إفريقية الرومانية وتحديدا عند هنشير الثنية الواقع بالمدخل الجنوبي لخليج السرت الصغير (تونس) شرقا إلى غاية مدينة قسنطينة غربا (الجزائر)، وتحدها من الناحية الجنوبية الشرقية مدينة ليدة الليبية (أجزاء من تونس وليبيا والجزائر)، واتخذ من مدينة زاما عاصمة له .

Dion Cassius, Histoire romaine , XLI, 41, 3, Traduit et annoté par Auberger(J).Paris, les belles lettres, 1995 ; Plutarque, Caesar, 55, Les vies des hommes illustres, traduit par Richard .Paris, le Fèvre, 1838 ; Piganiol(A), La conquête romaine 7 édition .Paris, P.U.F, 1995, p371

6 - De la Blanchère (R), «De rege Iuba regis Iubae filio », B.C.A, 1884, p70 ; Carcopino(J), Le Maroc antique .paris, Gallimard, 1943, p31.

7- Gsell(St), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord (=H.A.A.N), T VIII, Réimpression de l'édition 1921- 1928, Otto Von ZellerBruck, p208.

8- Dion Cassius, op.cit, LI, 15 ,6 ; LIII, 26, 2 ; Strabon, Géographie XVII, 3, 7, Traduction d'Amedée Tardieu .Paris, Hachettes, 1886.

9- Desanges (J), « Le triomphe de Cornelius Balbus19avant J.C » R.Af, 1954, p125.

10- Mazard(J), Corpus Nummorum Numidae Mauretanie.Paris, arts et métiers graphiques, 1955, P108.

11- Tacitus, Histoire, V, 9, Texte établi et traduit par Goelzer (H), Paris, Les Belles Lettres, 1921.

12- Josephus Flavius, II, 7,4, La guerre des Juifs contre les romains 66-70après J.C, traduit par Armould.Paris ,Lidis, 1975.

- 13- Gsell (St), H.A.A.N, T8, p221.
- 14 - Benseddik(N), Ferdi (S), Leveau(Ph), Cherchel.Alger, 1983, pp55-59.
- 15- Tacitus, Annales, Iv, 24, texte établi et traduit par Geolzer(H) .Paris, Les Belles Lettres, 1945 ; Benabou (M), « Juba II ou l'africanité vassale de Rome » Les Africains, IX, 1977, p153.
- 16- Plutarque, Sertorius, 9 ; Caesar, 55.
- 17- Gsell(St), H.A .A.N, T8, p254.
- 18- Plinius, V, 16, Histoire naturelle, V, texte établi et traduit et commenté par Desanges (J). Paris, Les Belles Lettres, 1980.
- 19- Gsell(St), « Juba savant et écrivain », R.Af, 1928, p168.
- 20- Id, H.A.A.N,T8, PP274-277.
- 21- Tacitus, Annales, IV, 24.
- 22- Benabou(M), La résistance africaine à la romanisation d'August à Dioclétien. Paris, Maspero, 1976.
- 23- Coltelloni-Trannoy(M), « Le Culte royal sous les règnes de Juba II et Ptolémée de Maurétanie », Histoire et archéologie de l'Afrique du Nord, V colloque international, 115 congrès national des sociétés savantes, Avignon 9-13avril1990, édition B.C.T.H.S, 1992, PP69-81.
- 24 - وهم المؤرخان الرومانيان بليتوس القديم الذي عاش خلال القرن الأول ميلادي، وسولينوس الذي عاش خلال القرن الثالث ميلادي ضف إلى ذلك المؤرخ البيزنطي أليانوس.
- 25-Plinius ,op.cit , VI ,31,14, « Iuba in his voluminibus quae scripsit ad Causi Caesarem , Augusti filium , de arabia “ XXXIII , 4,1 “Jubamque regem , ad eumdem Causi Caesarem voluminibus de eadem expeditione arabica
- 26.Plinius, VI, 31, 14 ; XII, 31, 2 ; XXXII, 4, 1.
- 27- Gsell (St), op .cit, p 273.
- 28-Plinius, VI, 31, 1.
- 29-Gsell (St), op.cit, p277.
- 30 — سترابون (64 ق.م - 19 م): ألف كتابا باللغة الإغريقية في سبعة عشرة جزءا أسماه " الجغرافية ". وصف فيه الأحوال الجغرافية الطبيعية لمقاطعات الإمبراطورية الرومانية الرئيسية وتاريخها وأحوال سكانها الاجتماعية والدينية، وقد خصص في كتابه السادس عشر فصلا خاصا عن بلاد العرب، ذكر فيه الخطوط التجارية البحرية والبرية من موانئ وطرق الجانب الشرقي للبحر الأحمر إلى موانئ وطرق الجانب الغربي لهذا البحر، محددًا بدايات الخطوط ونهاياتها والمواقع التي تمر بها، وتعرض لنظام الحكم الذي كان يسود بعض المناطق العربية، والعلاقات التي كانت تربط بين أقوام المنطقة وغيرهم.
- 31-Plinius, VI,26, 1 ; Gsell(St), op.cit , 270.
- 32 . لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص202
- 33 . أنظر الصفحة رقم 3.2 .
- Gsell(St), op.cit , p266 ;
- لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص208.
- 35- Aymard (A), Auboyer(J), Rome et son empire .Paris, P.U.F, 1954, p311-312.

- 36 - حسن الصابون، « حول ميناء لويكي كومي "مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، العدد 28، 2009، ص 1.2.
- 37- سترابون، جغرافية سترابون، الكتاب السادس عشر، وصف بلاد ما بين النهرين وفينيقيا وشبه الجزيرة العربية، نقله عن الإغريقية، محمود مبروك الدويب، بنغازي، منشورات جامعة قارونس، بنغازي، 2006، ص 95.
- 38- Plinius, VI, 32, 17.
- 39 - وهو من الكتب الهامة التي وصلتنا عن شبه الجزيرة العربية، والكتاب محرر بالإغريقية وإن كان قد عرف تحت عنوانه المترجم إلى اللاتينية، وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ تأليف الكتاب، إذ يرى بعضهم أنه ألف في نهاية القرن الأول ميلادي بينما يرى بعضهم الآخر أنه ألف في النصف الأول من القرن الثالث، وقد وصف مؤلف هذا الكتاب في مؤلفه طوافه في البحر الأحمر وسواحل بلاد العرب الجنوبية والهند مرورا بشواطئ شبه الجزيرة العربية، والكتاب يحوي معلومات كثيرة من ذلك النوع الذي يحتاج إلى معرفته الملاحون والتجار، سواء ما يتصل بالملاحة والأسواق أو ما يتصل بالمعلومات العامة عن البلاد التي تقع على سواحل شبه الجزيرة العربية، إلا أنه لم يهتم إلا بأحوال الساحل، أما الأقسام الداخلية من جزيرة العرب فالظاهر أنه لم يكن ملما بها إلماما كافيا، كما أشار إلى الأنباط وملكهم الذي كان معاصرا للوقت الذي كتب فيه وإلى علاقة الإمبراطورية الرومانية بشبه الجزيرة العربية.
- 40-Perpilus peri maris Erythraei, 26.
41. لقد اختلف المؤرخون المعاصرون حول تاريخ احتلال الرومان لميناء عدن، وقد تصور بعضهم أن ذلك وقع في عهد الإمبراطور كلوديانوس (41 - 54 م) أو قبلها بقليل، ويرى بعض الباحثين أن استيلاء الرومان على عدن كان بعد حملة أليوس جالوس، وربما بعد الميلاد بقليل، وذلك بعد إخفاق تلك الحملة الرامية إلى بلوغ المحيط الهندي من البر والاستيلاء على الميناء من البحر وذلك في سنة 24 م، وقد ذهب بعض الباحثين أن القيصر المقصود هو كراكلا.
- 42-Plinius , XII, 30, 1-2 ; VI, 31- 32 .
- 43- Cary (M), History of Rome, London, p591n18.
- 44- Plinius, VI, 32, 1-19.
- 45- Ibid, VI, 32,
- 46-Ibid,VI,34,4.
- 47- Ibid, VI, 32, 7.
- 48-Ibid, VI, 34, 2.
- 49-Ibid, XI, 34, 3.
- 50-ibid, XXXVII, 1-35.
- 51-Ibid, XII, 30, 1-25.
- 52- Ibid, XII, 18; XII, 30, 1; XII, 41, 1.
- 53- Ibid, XXXI, 15, 15.
- 54-Ibid, XII, 7, 5
- 55-Ibid, VIII, 13, 1.
- 56-Ibid, VIII, 26, 1.
- 57- Ibid, XXXIV, 1.

- 58-Ibid, VIII, 72, 3.
59-Ibid, VIII, 40, 1.
60-Ibid, VIII, 72, 3.
61-Ibid, XII, 30, 1.
62-Ibid, XII, 22, 1.
63- Ibid,XXV,17,1.
64- Ibid, XXV, 28, 1.
65- Ibid, XXXVII, 9, 1.
66-Ibid, VIII, 25; VIII, 30.